درهم السل

قصة بقلم جارك أحمد

— ١ —

« .. غدا ، اريد ان يحضر كل منكم درهما واحدا فقط ليأخذ من هذه الطوابع التي امامي طابعا .. مشاركةمنه في مكافحة داء السل .. لانه بفضل درهمك ودرهم زميلك .. ودراهم اخرى من اماكن اخرى .. سنتمكن من جمع مال كثير يتداوى به مرضانا بالسل .. اتعلمون ان مرض السل مرض خطير جدا ؟ وانه ينتقل من مريض الى صحيح سليم ؟ انه يهددنا بالموت .. »

بلغت هذه الكلمات الاذان .. آذان التلاميذ .. بلغتها في وقت كانت فيه اعناقهم تشرئب وعيونهم جاحظة جهة المعلم الذي وقف امام السبورة مخاطبا تلاميذه .. كان بالامكان القول ان جميع الوجوه بدت عليها علامةقريبةمنوميض الفرحة.. تلك التي تعتري شعور التلاميذ..مثل هؤلاء التلاميذ .. عند احساسهم بانهم مقبلون على المشاركة في مشروع ضخم .. أليس هذا مشروعا ضخما ؟ مكافحة داء عضال .. نخر في صدور مرضى كثيرين ؟؟ أقول .. كان بالامكان القول بان جميع الوجوه بدت عليها علامة واحدة .. لولا وجود وجه واحد فقط بدت عليه علامة مخالفة لعلامة الباقين .. كان الوجه صغيرا .. صغيرا جدا .. وجه غريب .. وهذا اسم صاحبه .. ولست ادري لماذا بالذات سمي بهذا الاسم ..

حقا كان يبدو غريبا بين باقي التلاميذ .. قليلون هم اولئك التلاميذ الذين يتحدثون اليه .. وقليلة هي المرات التي يحادثهم فيها ..

ما كاد المعلم يفرغ فاه من تلك الكلمات حتى كانت دقات الجرس ترن ايذانا بانقضاء يوم اخر من ايام الدراسة ..

وكالعادة .. وقف غريب في نهاية الصف .. اذ لم يكن هناك تلميذ اخر في فصله ليقف بجانبه في الصف .. كان عدد تلاميذ فصله احاديا .. وسار الصف .. فسار غريب .. واودع الجميع المدرسةمن بابها الكبير .. ومع ان الضجيج كان على عادته مرتفعا بباب المدرسة .. فان ذلك كله لم يغير من ملامح غريب الذي سار الى جانب الطريق.

— ٢ —

— سبقتني يا ابي اليوم .. ومع ذلك جعلت الماء يدفأ ..
— الله يرضى عليك .
— يظهر أنك لم تمر بالسوق في طريقك الى البيت من المعمل..والا لماذا حضرت في هذا الوقت ؟
— معنا بعض خضر البارحة .
— ...
— ماذا كان غداؤك بمطعم المدرسة اليوم ؟
— عدسا وخبزا .. وحليبا امريكانيا
— شبعت ؟
— قليلا .. أبي ؟
— نعم .
— طلب منا المعلم ان نحضر غدا درهما واحدا فقط .. لنشارك في مكافحة داء السل ..

— يبدو انك جننت .. دائما اقول لك اترك المعلم يقول ما يشاء.. انه لا يخاطبك .. لا يخاطب امثالك .. انه يخاطب غيرك .. انك فقير.. اني فقير .. اني محتاج الى درهم منه .. اطلبه يعطيك درهما ..مشاركة منه في مكافحة فقري .. اطلبه .

— ابي .. امي مريضة منذ اكثر من سنة بهذا المرض .. انه مرض ينتقل من مريض الى صحيح .. انه يهددنا بالموت .

— قلت لك مرارا : حذار ان تحدثني هكذا .. انا لا اريد ان اشارك في مكافحة أي شيء .. اني فقير .. الا تعلم هذا ؟

— اعلم ذلك .. ولكن بدرهمي ودراهم اخرى من اماكن اخرى ستشفى امي من هذا المرض وسيشفى معها اخرون .. آبي.

— اطمئن .. اني لن اعطيك ولو فرنكا ..
— ابي .. ارجوك .. ستشفى .. أمي مريضة منذ أكثر من سنة بهذا المرض ..
— يكفيك .. لن أعطيك شيئا ..

— ٣ —

— انا أبو غريب .. جئت أنبئك ، سيدي المعلم ، ضياع كتابه المدرسي .. اني ارغمته البارحة واول البارحة ان يقول الحقيقة ولكنه أدعى ان الكتاب ضاع منه .. وليس في امكاني ان اعوض المدرسة عنه ثمنا ..

المعلم — غريب .. غريب .. تعال .
غريب — حاضر
المعلم — اين كتابك ؟
غريب — ضاع مني يا سيدي .
المعلم — كيف ضاع ؟
غريب — ...
المعلم — تكلم .. كيف ضاع منك ؟
غريب — ...
المعلم — قل الحقيقة ولا تخف .. سأعطيك كتابا اخر .
غريب — بعته لاساهم في مكافحة داء السل .. امي مريضة !
المعلم — لا تبك !
الاب — لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .. —

الدار البيضاء

جارك أحمد